2262
.197
.385

2262.197.385
Ahmad
Al-siham al-mutaqabilah

JUN - 1 '42 Bindery JUL 30 '48

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 082175074

Ahmad, Mahmūd, al-Baghdādī, 1903-1937

السهام المتقابلة

al-Sihām al-mutaqābilah

بقلم

السيد محمود احمد — و — عونى بكر صدقى

البغدادى مدرس

مؤلف مصير الضعفاء بالمدرسة الحيدرية بغداد

الطبعة الاولى

بنفقة المؤلفين . وحقوق الطبع محفوظة لهما

سنة ١٣٤١ — ١٩٢٢

يطلب من المكتبة العربية — فى بغداد

« المطبعة الرحمانية بالخرنفش بمصر »

1936

(RECAP)

2262
.197
.385

الى :

صاحب (اللغز) محمد أفندى احسان .

« المتألم من الحياة ، الساخط عليها ، الشانئ لها ، »
« المعرض عنها ، الذى لا يقيم لها وزناً ، ولا يطمع منها »
« فى شىء سوى أن يقضي أيامه طالت أو قصرت »
« شريفاً أبى النفس الى أن يغيب فى الثرى دون أن يترك »
« ورائه شيئاً غير ذكرى طيبة يذكره الناس بها ، ولا »
« ينظر الى الحياة إلا نظرة الفيلسوف الذى لا يحس »
« بهناءه ولا يشعر بسعادة بل يرى فى كل ناحية من »
« نواحيها شبحاً للهموم والآلام ماثلا دائماً أمام عينيه »

نرفع هذا الكتاب .

السيد محمود احمد — و — عونى بكر صدقى

مقدمة

بمناسبة الطبع والتأليف

العراقيون في آخر يوم من أيام تلك النهضة العلمية الكبيرة وقفوا ثم ارتدوا فرجعوا متقهقرين وبعد ذلك رقدوا رقدة طالت مئات من السنين.

وفي اليوم الذي عاد الروح الجديد الى الشرق كان نصيب العراقيين من الاقتباس منه قليلا.

السوريون والمصريون قبل غيرهم من الناطقين بالضاد خطوا الخطوة الاولى في سبيل النهوض، بالعلم والادب. ففي القرن الماضي ظهر فيهم العلماء والكتاب والشعراء، وأخذوا يسيرون تدريجاً في طريق الرقي والكمال.

وبدخول المطابع في بلادهم كان ذلك أكبر واسطة لأظهار تأليفاتهم ومدوناتهم، فنشروا منها ما نشروا، ثم ترجموا من كتب الغربيين ما ترجموا، واقتبسوا مما لديهم من العلوم والمعارف ما اقتبسوا، وعلى هذا المنوال سعوا واجتهدوا ردحاً من الزمن، حتى اتسعت في بلادهم دائرة العلم اتساعاً عظيماً، وأصبحت المؤلفات والكتب لديهم كثيرة جداً بالنسبة للبلاد العربية الأخرى.

924511

أما نحن أبناء العراق فبقينا في مؤخرتهم ولم نستطع على اتباع نهجهم لأسباب كثيرة أهمها عدم اهتمام الحكومة السابقة ، والفقر المدقع المخيم على البلاد ، وبعدنا عن العالم المتمدن. أجل بعدنا عن الغرب ، واهمال الحكومة السابقة للعلم فى عدم نشره هنا ، والفقر المالى ، كل هذه هى وسائل مهمة وأسباب قوية ، لفقدان الأمة أناساً مهذبين راقين ، ورجالا علماء كاملين ، وهل العلماء والادباء والمؤلفين الا أشخاص يخرجون من بين طبقات الأمة التى انتشر بينها العلم الصحيح ؟

هذا مع أننا نستطيع التصريح بان فى العراق نوابغ ظهروا فى الأيام الاخيرة وان كانت لم تعلمهم مدرسة أو تخرجهم كلية جامعة لكنهم مع كونهم شذوذاً لا يعدون بالاصابع لم توافقهم الظروف ولم تسمح لهم الفرص لأظهار عبقرياتهم وما لديهم من أدب ينشر أو علم يذاع للناس ، وهكذا جاؤا فاهملوا ثم ماتوا وأصبحوا منسيين .

*
* *

أخيراً تغيرت الحال بعض التغير ، اذ ظهر بضعة رجال ألفوا بعض الكتب العامية على أثر تقرب العلم قليلا من هذا القطر .

ومن أول الكتب العراقية التى طبعت — على مانعلم —

كتاب (روح المعاني) فى تفسير القرآن للسيد محمود شهاب الدين الآلوسى الذى نشره فى الاستانة أثناء سفره اليها .

وبعد ذلك أدخلت حكومة بغداد أول مطبعة لطبع جريدتها الرسمية وبعض المنشورات . ثم تلتها مطبعة أهلية أخرى كانت واسطة لأبراز عدة جرائد خدمت الأمة خدمة تذكر ، لأنها أيقظت الافكار ونبهت الأذهان .

ومن ذلك الوقت الذى يبعد عنا أكثر من ربع قرن الى هذا اليوم لم ينبغ فى العراق الا رجالا أفراد معدودون ألفوا كتباً قليلة جداً فى مواضيع مختلفة من العلوم .

ونذكر مما طبع منها فقط

فى التاريخ

(بلوغ الأرب فى معرفة احوال العرب) للسيد محمود شكرى الآلوسى ، و (خلاصة تاريخ العراق) و (مختصر تاريخ بغداد) للأب انستاس الكرملى . و (تاريخ ملوك الحيرة) لعلى ظريف الاعظمى .

وفى الادب

ديوان عبد الغفار الأخرس ، وديوان عبد الباقي الفاروقي ، و (الكلم المنظوم) وهو الجزؤ الأول من ديوان جميل صدقى

الزهاوى وديوان معروف الرصافى ، و (الرحلة الى اسلامبول) على طريقة المقامات ، للسيد محمود شهاب الدين الآلوسى ، وديوان عبد الرحمن البناء ، وديوان ابراهيم منيب الباجه جي ، و (العراقيات) لعدة شعراء عراقيين ، و (المراجعات الريحانية) بين أمين الريحانى ، وعبد المحسن آل كاشف الغطاء النجفى ، وديوان السيد حيدر الحلى ، وديوان ابراهيم الطباطبائى ، وكتاب محاضرات فى الادب العربى للرصافى

وفى الدين

كتب ورسائل منها (غاية الأمانى فى الرد على النبهانى) و (مختصر التحفة) و (تتمة التأسيس) للسيد محمود شكرى الآلوسى و (اثبات الشريعة المحمدية) و (غاية المواعظ) للسيد نعمان الآلوسى وغيرها من كتب تحتوى على ردود على الاديان ، أو مدافعات عنها اهملنا ذكرها .

وفى اللغة

(كتاب الطرة على الغرة) و (الفيض الوارد) للسيد محمود شهاب الدين الآلوسى و (كتاب فى ذوات الطرفين من الكلمات) للسيد نعمان الآلوسى .

وفي الفلسفة

(كتاب الجاذبية) لجميل صدقي الزهاوي و (كتاب الهيئة والاسلام) للشيخ هبة الدين الشهرستاني و (رد فلسفة دارون) للشيخ محمد رضا الاصفهاني .

وفي الحقوق

(الحقوق الاساسية) لسليمان فيضي الموصلي و (شرح قانون الاراضي) للمحامي خالد الشابندر .

هذه هي اهم كتب العراقيين التي طبعت ونشرت ، وهناك رسائل عديدة في مواضيع مختلفة ، وكتب مدرسية صغيرة أغلبها مقتبس ومكرر ظهرت في حينها ثم فقدت لقلة أهميتها .

أما الروايات وهي اهم مايكتبه الكاتبون في العصر الحاضر ؛ فقد قيل ان بعضهم كتب شيئاً من نوعها ، بيد أننا لم نر الا (الرواية الأيقاضية) لسليمان فيضي الموصلي التي طبعت أخيراً ، وقد جئنا نحن فادلينا دلونا بين الدلاء كما يقولون فكتبنا رواية (في سبيل الزواج) الشرقية الهندية و (مصير الضعفاء) العراقية .

ولا يخفى أن هذه الكتب لقلتها ولاسباب أخرى ، لا يستدل منها على وجود روح علمية كبيرة ، أو نهضة مهمة في عالم التأليف والنشر .

منذ عدة أشهر تألفت فى بغداد لجنة سميت بـ (اخوان الأدب) جمعت بين أشهر رجال الأدب العراق ، وبين أناس لم يكن يعرفهم العراق قبل اليوم .

وقد كان الغرض منها العمل على تنشيط العلم والأدب وإظهار الكتب والمؤلفات وغير ذلك . غير أنها اجتمعت للمرة الأولى والثانية والثالثة ثم قررت ما قررت ، والناس بين متفرج ومنتظر وبعد ما علا صياح الأمل والبشرى فى الجرائد خفتت الأصوات وعم السكوت .

* * *

وأعقب ذلك تأسيس (المعهد العلمى) فشرع يباشر أعماله وأخذ يبث دعوته حتى نشر مانشر ، وأعلن ماأعلن ، وخطب رجاله ماخطبوا ونحن نتمنى له الفوز وندعو الله أن يرقيه فى سلم النجاح .

وبعد مدة أعلن على صفحات الجرائد مايأتى :

(الترجمة والتأليف)

نرجو من كافة الأدباء والباحثين الغيورين [1] على العلم

(١) وهذا خطأ فجمع الغيور (غيارى)

والأدب فى العراق وسورية ومصر وغيرها من البلاد العربية والأجنبية ان يخابروا المعهد العلمى ببغداد لطبع ما لديهم من الترجمات أوالمؤلفات و نشرها بين الناطقين بالضاد لمكافحة الجهل الضارب أطنابه فى هذه البلاد المتقهقرة فى العلوم المحتاجة المؤلفات المفيدة .

أما الشرائط فتختلف باختلاف الآثار والأساليب وتفضل الكتب المدرسية فالفنون العصرية فالآداب.

فليهنأ الفضلاء والى العلم والى العلم والى العلم اه .

هذا هو الاعلان الذى نشره المعهد ، والذى ما قرأناه الا وصرخنا مع الصارخين : الى العلم والى العلم ألف مرة .

مضت الأيام تتلوها الايام ونحن ننتظر كما ينتظر الموحدون نتيجة ذلك النداء ، وهو نداء عظيم لو يتدبر الناس ، لانه موجه الى كافة الادباء والمؤلفين ، لافى العراق فحسب ، بل فى سورية ومصر أم العلوم والمعارف ، أم الكتب والتأليفات . أم الطبع والنشر ، بل وغيرها من البلاد العربية وحتى الاجنبية لاجل ارسال كتبهم تطبع فى العراق ؟ ؟

والآن ذهبنا فولجنا المكتبات وفتشنا دور العلم والمدارس وسألنا هذا وذاك عن الكتب التى ظهرت طبعت ، فلم نظفر

شيء . فقلنا ننتظر . . والمستقبل كشاف .

* * *

نوجه الآن نظرنا الى بغداد فنرى المنتسبين للعلم فيها تجاوزون المئات وكلا منهم يؤلف ويكتب ويعمل كما يقال ، لكنا يا للأسف لم نجد حتى هذه الساعة كتاباً علمياً ظهر أو أو مؤلفاً أدبياً نشر من قبلهم .

اللهم الا كتاب (اعرف بختك) الذى امتلئت الصحف العراقية بمدحه والثناء عليه ، وقالت انه يجب أن تقتنيه كل عائلة وانه أجود من كل كتب أصحاب (الفال) وانه من تأليف نابليون العظيم . وغيره من وريقات هى أشبه به

* * *

كنا كلما نهم بوضع كتيب ، أو تأليف رواية ، نسمع الضجيج والصراخ من كل ناحية ، والاستهجان المضحك من كل جانب ، والسبب واضح بين ، لان العالم لا يرونا الا أناساً متهوسين أو شباناً تدفعنا على ذلك حرارة الشباب لاغير .

ولعلنا نرى لهم بعض الحق لانهم رأوا ما رأوا من دعاوى الذين سبقونا من الرجال المحنكين فلم يعودوا يصدقوا بأحد كامثالنا وأمثال غيرنا من الشبان الناشئين .

أما نحن فلا نحفل بالفريقين ، فريق المدعين ، وفريق العوام الجاهلين ، وسنواظب على عملنا تدريجاً لا بطفرة واحدة فهى محال ، وهانحن نخرج هذا الكتاب الصغير (بعد الروايتين المار ذكرهما) وسنظهر الذى بعده ، والذى بعده رغماً عن الظروف آملين من أمتنا الرضى ان كنا نستحقه ، والسلام على رجالها العاملين .

السيد محمود أحمد

السهام المتقابلة

السهام المتقابلة ، سهام الآراء الأجتماعية فى الرسائل المتبادلة بينى وبين عونى بكر صدقي ، بقيت فى عالم الكمون والخفاء مدة غير قليلة ثم ان يد الحرية اللطيفة القوية أخرجتها وها هى اليوم تظهر أمام الناس أجمعين

هذه السهام الحادة ، كلانا رمى بها المجتمع الفاسد ، ولكن شتان مابين الرميتين .

رمى للهدم ثم البناء والاصلاح ، ورميتُ للهدم ثم الفناء والاضمحلال .

هذه السهام الثاقبة ، كلانا ضرب بها المجتمع الفاسد ، ولكن شتان ما بين الضربتين .

ضرب بيد المشفق الحنون مواطن الضعف والوهن ليدكها فداء للمواطن الصالحة الاخرى ، وضربت بيد العدو الغضوب كل مواطنه لأني لم أر فيها ما يستحق البقاء .

هذه السهام الجارحة ، كلانا هجم بها على المجتمع الفاسد ، ولكن شتان ما بين الهجمتين .

هجم لقتل الجراثيم السامة ، حفظاً للجراثيم الحية الطيبة ، وهجمت لقتلها كلها بدون تفريق ولا تمييز .

هذه السهام القاتلة ، كلانا طعن بها المجتمع الفاسد ، ولكن شتان ما بين الطعنتين .

طعن الرذائل لتحل بمحلها الفضائل وطعنت الفضائل ، لانها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء .

* * *

هو تمسك باساطير الحكماء السابقين ودساتير العلماء اللاحقين ، وأنا تمسكت بالحوادث اليومية ، والأمور الجارية أمام أعيننا ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

هو اعتمد على القوانين الموضوعة وانا اعتمدت على القواعد الخيالية وكلانا راض بالذى اعتمد عليه

هو اندفع بالعقل ، وانا اندفعت بالعواطف وكلانا يحسب انه يحسن صنعاً .

هو يصيح العواطف منبع الشرور وأنا أصيح العواطف شيء مقدس ، وكلانا يرى قوله الحق المبين

هو متفائل بالخير ، وانا متشائم متفائل بالشر ، لأنى أعتقد أن الخير موهوم ، والدنيا ليس فيها الا الش ور .

هو نظر الى العالم من وراء زجاجة شفافة بيضاء فرأى نوراً وأنا نظرت اليه من وراء زجاجة كثيفة سوداء ، فرأيت ظلمة مدلهمة . وباعتقادي ان الظلمة حقيقة ثابتة ، والنور طارىء عرضي يزول .

هو بصفته مصلحاً يسألني قائلا : من أي فرقة هم السراق والأغرار ؟

وأنا أقول : كل الناس سراق ، كل الناس أغرار ، الأفراد قلائل ضائعون .

هو يسألني قائلا : الناس فرق ثلاث (أهل العقل) وهم الفلاسفة والعلماء ، و (أهل الارادة) وهم الجنود والقواد و (أهل العواطف) وهم النساء والأطفال . فبالله قل لي من أي الاقسام أنت ؟

وأنا أقول : انى فرد مزقت عني ثياب الانسانية الكاذبة الموهومة فرجعت كما خلقت بشراً طبيعياً لا يركن الا الى الحقائق التي يأخذها عن الطبيعة فقط .

ذاك هو مذهبه ، وهذا هو مذهبي ، وللناس مذاهب فيما يعشقون .

* * *

نحن نفتخر بأننا تكلمنا بكل حرية وطلاقة ، ولكن لا نعلم هل نحن فى ذلك بنظر الناس محقون أم خاطئون .

ذاك أمر نتركه الى القراء ، فهم (حكم) فليحكموا بما يشاءون) .

السيد محمود احمد

الرسالة الاولى

الخطبة

٥ ربيع ثاني سنة ١٣٤٠

أمي عوني :

كثرة اختلافي إليك ، وترددي عليك ، واجتماعي بك حيناً بعد حين في الأيام الماضية ، كل ذلك كان يمهد لي السبيل لأن أحكي لك ما أشاهد وأرى ما يعرض أمام عيني على ستائر سنما الحياة الكبيرة ، من المناظر الحسنة البشعة المضحكة المبكية ، وأبسط لديك ما يمر على مخيلتي في الساعة بعد الساعة من الحقائق الراهنة أو الخيالات والاوهام ، وأضع بين يديك ما عندي من الآراء المتطرفة . والافكار الشاذة .

وقد كنت تتلقى ذلك مني برغبة واشتياق أولا ، حتى اذا ما افرغ منها تبدأ بتمحيصها بأعتناء تام ثم تستحسن منها ماتستحسن ، وتستهجن منها ماتستهجن . وهكذا كنا نتبادل الآراء والأفكار ونتناظر ونتحاور حتى نطرق كل باب ونهيم في كل واد .

أما الآن وقد بعدت عنى ، وحالت بينى وبينك الحوائل ، فلا حيلة لنا لاعادة الكرة غير المكاتبة والمراسلة .

ليس عندى شيء يستحق الذكر ، سوى اني أورد لك حادثة شاهدتها ولازلت حتى هذه الساعة افتكربها .

انها مسألة ربما كانت تافهة بنظر الناس ، ولكن ذلك لايهمنى ابداً .

ارجوك أن تقرأها بأمعان ثم تكتب لى عما ترتأيه ولو ببضعة أسطر .

* * *

دخلت أمس المسجد الكبير فرأيت الخطيب واقفاً على منبره يخطب بالناس قائلا :

كونوا ذوى اخلاق فاضلة .

فالفضائل وحدها السبب المؤدى الى السعادة فى الدار الدنيا .

كونوا صادقين .

فقد قيل أن الصدق سيد الاخلاق وأبو الفضائل .

أقول (الصدق) واعنى به الصدق فى القول والعمل ، فى السراء والضراء فى كل حال من الأحوال .

كونوا ابطالا شجعان

فالشجاعة والاقدام هما عماد الأخلاق وأساس النجاح في الاعمال.

الرجل الشجاع هو الذى يقدم على الأمور بقلب اقوى من الفولاذ، واذا ماأصابه حادث خطير يقف له رابط الجأش، ساكن القلب، قوى الجنان، حاضر اللب، لاتأخذه دهشة ولا تخالطه حيرة أو رهبة. والرجل الجبان بعكس ذلك: شتان ما بين الاثنين، ذاك يفوز بالمعالى وهذا يبقى فى الحضيض الاسفل.

كونوا ذوي عزم وإرادة.

فالشجاعة وحدها لا تكفى ما لم تكن مصحوبة بالارادة التامة.

كونوا متواضعين لا متكبرين.

فالتواضع لا يزيد الرجل إلا رفعة فى أعين العالم. وان الناس ليمقتون من تكبر أو رفع نفسه فوق قدرها.

ليكن الفرد العاقل، لين الجانب سهل العريكة، محفوظ الجناح، متواضعاً لطيفاً فمن كان بعكس ذلك أهمله الأقربون وانفض من حوله الابعدون.

* * *

أكمل الخطيب خطابته ثم نزل وخرج، أما الناس فتفرقوا

وذهب كل منهم إلى شأنه وقد اكتفوا من تلك التعاليم بسماعها فقط

وقفت هنيهة ثم تحسست وقلت : أيها الفيلسوف ! أنت بواد والناس بواد

انهم ما كانوا ولما يكونوا ذوي أخلاق فاضلة ولا صادقين ولا ذوى شجاعة أو عزم وإرادة ولا متواضعين أبداً ، لكنهم يعيشون . .

والشذوذ النادرون ، الذين هم لمقالك تابعون ، ارنيهم ، أين هم ؟ — فى الدرك الأسفل من نار الحياة .

أجل . تلك هى نظريات ، ولكنها عقيمة لا يعمل بها . والناس يعرفون ذلك بيد أنهم يخدعون انفسهم بها

ويكفي ، نعم ويكفى أنها تحفظ فى صدور الفلاسفة أو بين دفات الكتب وطيات القراطيس

أخبرنى أيها الصديق الصادق هل هذا خطأ أم صواب ؟

س . م

الرسالة الثانية

المجتمع والكتاب

٧ ربيع الثانى سنة ١٣٤٠

أخى محمود :

بالأمس حظيت برسالتك التي أرسلتها إلى ، ولقد سرنى منها حريتك فى كلامك ، وصراحتك بما يخالج ضميرك وعدم اتباعك الطريقة التى سار ولا يزال يسير عليها بعض الكتاب عندنا فينمقون العبارات تنميقاً ويزوقون الكلام تزويقاً، فيأتون بآراء لا يقبل بها وجدانهم ، ولا ترضاها ضمائرهم .

أولئك على فريقين : فريق أغرته الدنيا بزخرفها وأدهشه الاصفر الرنان بصولته فوهب كلما عزله فى حياته فى سبيل الحصول على أمنيته . فهو معذور فيما يكتب وغير مسئول عما يقول . لانه طوع ارادة أرباب المال وأسير احسانهم .

وفريق أضلته الخرافات ، وحالت بينه وبين الحقائق إلا باطيل ، فهو لا يريد أن يكتب الا ما يكون موافقا لمشارب

أبناء القرن الاول للهجرة ، كانه نسى انه من أبناء القرن الرابع عشر ، ذلك القرن الذى امتاز بتقدم أهله وتطور أحوالهم الاجتماعية .

* * *

ولئن كنا نود أن نخترق هذه القيود ونزيل تلك الغشاوة عن أعين الناس فهل يجوز لنا أن نسعى لهدم أعظم أركان المجتمع قبل أن نبذل جهدنا لكى نشيد له بنياناً قويا

ليست الانقلابات العظيمة التى تسبب تطور المجتمع وتغير حالته الا نتيجة التغير الذى يحصل فى أفكار الامة ومعتقداتها . فالامة العربية لم تكن لتستطيع جمع شملها وتوحيد كلمتها الا بعد أن تشربت بالمبادئ الاسلامية تلك المبادئ التى سببت تغيراً عظيما فى أفكار العرب ومعتقداتهم . فمن هذا يظهر لنا أيضاً أن الانقلابات السياسية كقيام أمة وسقوط أخرى ليست هى نتيجة تطور سياسى كما يظهر وانما هى (نتيجة تغير أفكار الامة ومعتقداتها) (١)

فاذا كان الامر كذلك فأنت ترى أن الواجب يدعو كلا منا لأن يبذل قصارى جهده فى سبيل تهذيب الأمة وتقويم معتقداتها حفظاً لحياتها وصيانة لها من أعدائها وخصومها

(١) جوستاف لوبون

ولا نتشاءم لمجرد علمنا أن هناك طائفة قد نبذت الفضائل ظهرياً ولكنها تعيش عيشة راضية ،او أن هناك طائفة أخرى فاضلة مهذبة، ولكنها لا تزال تتجرع غصص الآلام فى سبيل حياتها .

فان مثل هذه الحال ليست بغريبة عن مجتمعنا ، ذلك المجتمع الذى لم يعلم حتى الآن على أي المبادىء الاساسية سيقوم وعلى أى الافكار الأولية سيبنى مادام فى دور تطوره وتغيره .

فهلا مهلا أيها الأخ .لا تتطرف بأفكارك ولا تنفرد بمبادئك فاننا اليوم أحوج الى اتفاق الكلمة وتوحيد المساعى على أن يكون الاعتدال شعارنا وان لا نجعل للتطرف مجالا يتسرب منه الينا . لكى تكون لنا يد فعالة فى هذا التطور التاريخى العظيم ولكى لا يقال عنا أننا ضعاف لدرجة صرنا نتراخى امام أمثال هذه الأمور !

ع . ب

12

الرسالة الثالثة

النظام الكونى

١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٤٠

أمى عوفى :

لست فيلسوفا كبيراً ، ولا حكيما عظيما فألج الباب التى فتحتها ، أو أخوض غمار البحث العويص الذى يتعلق بانقلاب المجتمعات ، وتطور الحكومات وغير ذلك .

وانما أنا مفكر نفسانى ، لا أنظر ولا أهتم الا بما يقع حولى بين البشر من الوقائع المختلفة ، والحوادث الغريبة العجيبة التى تنتهى أدوارها بسقوط فريق وقيام فريق ، أو اهلاك جماعة واحياء جماعة ، أو شقاء فرد وسعادة فرد ، بدون داع ولا سبب .

ولا أدرى هل هذا هو النظام الكونى الكامل الذى رضيتم به أنتم البشر رضاء جعلكم تطمئنون من أنفسكم ثم تنصرفون الى أمور لا طائل تحتها ؟

* * *

أنا الآن معك فى صداقتك ولكنك ان رمت الدخول فى ذلك المدخل العظيم ، الذى تذهب منه إلى حيث تذهب الأمة وتقوم معتقداتها وتبدل أخلاقها وعاداتها ، فاذهب أنت ومن تريد ، واتركنى ههنا قاعداً مع القاعدين.

* * *

قلت فى مجتمعنا وحده تحيا طائفة من أرباب الرذائل ، وتموت طائفة من أرباب الفضائل .

ولكنى أقول لك : فى المجتمعات الراقية يحيا كل أرباب الرذائل ، ويموت كل أرباب الفضائل ، بل ليس هناك من يعرف الفضائل أبداً .

لا يمكننى الآن ان آتيك بالبراهين والأدلة لأثبات ذلك فالمسألة واضحة كالشمس .

ولكن يكفى أن أسألك سؤالا واحداً . ناشدتك الله قل لى : لو كان نصف أهل المجتمعات الراقية من ذوى الفضائل ، هل كان يتسلط الغرب على الشرق ؟

* * *

ان كنت تخشى أن يقال عنا أننا ضعاف ، فقم أنت ومن تبعك وعلموا هذه الأمة المستكينة ، التزاحم والقسوة والشدة والبطش والظلم والرياء والكذب والطمع والجشع والغش

والخديعة ، وأنا أضمن لك بـ[illegible] أبد الآبدين عيشة راضية لم تكن تحلم بها من [illegible] سواء كان فى محيطها ، بنسبة أفرادها البعض للبعض [illegible] نسبتهم لافراد الامم الاخرى .

هذا ما أكتبه لك الآ[illegible] الأولى ، أزيد لك فى البرهـ[illegible] ت على فكرتك

الرسالة الرابعة

المجتمع والعواطف

١٧ ربيع ثاني سنة ١٣٤٠

أمي محمود :

لقد آن لي أن أجيب على رسالتك المؤرخة في ١٠ الجاري فأرعني سمعك ، وهون من غلواء حميتك وحماستك ، فاننا في موقف أحوج فيه الى التأمل واعمال الفكر من الاستسلام للعواطف والأميال .

قلت في رسالتك انك باحث نفساني تبني آرائك على مايقع حواليك من الوقائع المدهشة والأمور الغريبة التي تنتهي بسقوط أناس وقيام أناس آخرين . ومن كلامك هذا يفهم انك لا تريد أن تصدق أمراً مالم يكن نتيجة لتجارب عديدة ، وحوادث مختلفة .

اذن لم أزعجتك رسالتي الماضية مع ان كل ما فيها كان مبنياً على نتيجة تجارب علماء الاجتماع وبحثهم ؟

١٧

انى لأعجب من ترددك فى أفكارك وارتباكك فى عباراتك (فى رسالتك الماضية) فانك بينما كنت تعيب المجتمع لأنه يرفع هذا ويهوى بذاك ، ولأنه يداول الأيام بين الناس الخ اذا بك تعاتبنا على رضائنا عن تلك الأحوال وانصرافنا الى أمور لا طائل تحتها (فى اعتقادك) .

ان كنت قد قلت فى رسالتى الماضية عند ما تطرقت الى ذكر الفضائل والرذائل وتغلب الثانية على الأولى « أن تلك الحال ليست بغريبة عن مجتمع كمجتمعنا » فلا يفهم من كلامى هذا انى أنفى وجودها فى المجتمعات الأخرى سواء أكانت راقية أم منحطة كما فسرته أنت . على انك لو سألتنى عن فكرى فى هذه المسألة لوجدتنى موافقاً لك فى مبدأك . ففى اعتقادى ان من أراد محاربة الرذائل فانما هو يحارب المجتمع أو العالم بأسره ، الا نفراً معدودين .

ولست ممن ينفى وجود أناس أبرار فى هذا العالم لأن ذلك توهم وخيال محض ، ومهما ازدادت الشرور فى العالم فلابد من وجود أناس صالحين .

هذا وقبل أن أنتهى من كلامى فى رسالتى هذه أرجو أن لا تتلاعب بك عواطفك مرة ثانية فتجعلك لا تميز بين الحسن والقبيح بل وترجع الثانى على الأول ، وتعتقد أن الأمة اذا

سادت فيها الرذائل أمكنها أن تحيا حياة سعيدة ، ذلك الاعتقاد الوهمى الذى ليس له نصيب من الحقيقة

وفى الأخير أسألك أن تجبنى : أى أمة سادت فيها الرذائل وعمت الفوضى فأمكنها أن تحيا وتنجح فى معترك هذه الحياة ؟ لأنك تقول : إنى مفكر نفساني أنظر ما يقع حولى فأكتب؟ أليس الحق فى أن أسألك سؤالى هذا ؟

ع . ب

15

الرسالة الخامسة

العواطف شيء مقدس

٢٠ ربيع الثانى سنة ١٣٤٠

أُمى عوفى :

لو كانت رسالتك لغيرى لتأثر منها حقيقة . أما أنا فأعظمك وأجلك لأجلها .

أجل لقد قلت فيها عنى ، بأننى استسلم للعواطف والأميال . كلمة صادفت موقعها . انا ذلك الرجل الذى لم يبدأ بمحاورتك ومناظرتك الا والعواطف مستنده القويم الذى استند اليه .

العواطف شيء مقدس ، شئ عظيم ، به يحيى الناس ، به تجرى أمور الكون ، لا بالنظام أو القانون الموهوم الذى سنه بعض الرجال بغية الحصول على أمر ....

* * *

قلت فى رسالتك الثانية بأن رسالتك الأولى كانت مبنية على نتيجة تجارب علماء الاجتماع .

هل كان من أولئك العلماء (جوستاف لوبون) ؟

نعم : هو الذى استندت الى أقواله وعولت على آرائه فى ذلك الموضوع .

اذن اسمع .

أخى . لا تغضب اذا قلت لك بأن هذا الشخص الذى قال أن محمداً رجل متهوس من ذوى العقول الضيقة ، لجدير أن نضرب بتعاليمه وآرائه عرض الحائط ، فمن لا يستطيع ان يعرف منزلة محمد فى المجتمع لا يقدر أن يعرف أمراً جزئياً عن الأمور الاجتماعية .

لذلك فانى لا أعتبر تجاريبه مهما كانت ، والركون اليها خطأ محض .

* * *

سألتنى عن الأمة التى امكنها أن تحيا بالرذائل اوبالفوضى ، فأجيبك قائلا :

ليس من داع لذكر اسم تلك الامة خشية من أن نقع فى بحر السياسة فنغرق في لجته . ولكن يمكنى أن أقول أن أغلب الأمم سادت بالرذائل وعاشت بالرذائل ، مع أنها توصف بالتمدن والحضارة .

ولا بد من أن تتذكر ما جاء فى رسالتى السابقة من التلميح

عن الأمم الغربية . وان كان كلامى هذا لا يكفى فسأشرح لك بعض الشرح عن المسألة فى الكلمات الوجيزة الاتية : —

أخى . من الفضائل (الصدق) . وهذه خلة لو تمسك بها أهل الغرب لما خدعوا غيرهم وأخذوا بلادهم ابداً .

قالوا بأننا ندخل البلاد منقذين . فلما دخلوها أصبحوا فاتحين .

فهم كذبوا ، ولكنهم من جراء ذلك الكذب الفاحش قد حصلوا على بلاد وأقطار جعلتهم على جانب عظيم من أبهة الملك وجلالة السلطان . فما اتعس ذلك الصدق الموهوم ، وما أحسن هذا الكذب الذي به تتسع الحكومات الكبيرة:

من الفضائل (الشجاعة) . والحسين كان شجاعاً لكنه قتل . ولو استعمل قبل تلك الشجاعة شيئاً من الرياء والخديعة لما حل بساحته ذلك البلاء

وكذلك الأمير السيد عبد القادر الجزائرى كان شجاعاً لكنه غلب على أمره .

لأن البشرية تبغض هؤلاء ، وتأبى إلا أن تسحقهم لتحيى على رفاتهم مجداً لغيرهم من الظالمين .

من الفضائل (التواضع) .

وهؤلاء المتواضعون بيننا يسحقون بالاقدام .

والاغنياء المتكبرون المتعجرفون ترمهم الناس ، بل

يسجدون لهم من دون الله .دون ان تقيدهم قاعدة اويمنعهم قانون. أتنكر ذلك ؟

إذن بالكذب والخديعة أى (السياسة) تؤخذ البلاد ، وبالظلم والتهور يستعبد الاقوياء الظالمون غيرهم من الأمم والاقوام . كنابليون الذى كاد أن يأخذ الدنيا كلها بتهوره وبطشه وظلمه ،لا بشجاعته وفضيلته . وبالتعجرف والتكبر يكون الأغنياء والاعاظم محترمين مبجلين .

فهل بعد هذا نقول : ان الفضائل صالحة ، وان الرذائل بعكس ذلك ؟

أما الفوضى . فهذه الأمة الروسية ، سادت بها الفوضى البلشفية ، بيد أنها لم تخرب نظام معيشة الناس ، سوى أنها نغصت عيش أفراد من المتمولين القليلين ، (وما أحلى موتة البعض فى سبيل حياة الناس أجمعين) .

هذا وفى الأخير لا أخجل أن أقول لك بأن الجواب ناقص بعض النقص لأن الظروف السياسية تقيدني دون ان أصرح باسم تلك الدول التى لم تتأسس دعائمها إلا على الرذائل فقط.

ولكن الحليم تكفيه الأشارة والسلام.

س . م

/ 7

الرسالة السادسة

العواطف منبع الشرور

٤ جمادى الاولى ١٣٤٠

امنى محمود :

وصلتنى رسالتك المؤرخة ٢٠ ربيع الثانى ١٣٤٠ فأثبتت على حريتك فى آرائك وصراحتك فى مبادئك وما تلك إلا سجية كنت أعتقد وجودها فى أمثالك ، فاتت الحوادث محققة لظنونى .

قلت فى رسالتك الماضية أنك لا تكلمنى الا باسم العواطف لذلك فانك لم تتأثر حين قلت لك أنك تستسلم لعواطفك وأميالك .

كلام عجيب لم تتعود أذنى سماعه بعد ، ودعوى غريبة لم أكن لأنتظرها من ذى قبل .

لَمَ لَمْ تحتل علىَّ — كما يفعل بعض الكتاب فى عصرنا —

وتدعى أنك تخاطبنى بأسم الحقيقة ؟

أليس ذلك دلالة واضحة على انك تفكر فيما تقول ؟

نعم ان من يطالع رسائلك الماضية ويقف على مبادئك لا يتأخر من أن يحكم فى أنك مفكر نفسانى (كما تقول أنت) لا طفل مستسلم لعواطفه ، وائن تغلبت عليك عواطفك فى بعض الأحيان (كما يظهر لى) فليس ذلك دليل على أنك لا تفكر فيما تقول .

يقول علماء النفس : للأنسان عقل وإرادة ووجدان وان كلا من هذه المواهب الثلاث متصلة بعضها ببعض اتصالا متيناً لا يتأتى له انفصام ولكن لا بد من تغلب احداهن على الاثنتين الباقيتين . فالعقل ينمو ويعظم فى الفلاسفة والعلماء ، والارادة تسمو في الجنود والقواد ، والوجدان والعواطف تتغلب على النساء والاطفال . فبالله قل لى من أى الاقسام أنت ؟

العواطف منبع الشرور ومصدر الآثام ان تغلبت على رجل (وتغلبها يكون عرضياً) انتزعته ثوب انسانيته وجعلته وحشاً ضارياً لا يفكر فيما يعلم ولا يفهم ما يقول

* * *

لك بعض الحق ان تقول أن المجتمع يقوم بالعواطف لا بالنظام والقانون . فان هذا القول يصح في جميع المجتمعات البشرية

الحاضرة التي تأسست على الشر ولا تزال حتى الآن قائمة عليه.

ولكن رويدك أيها الأخ، ألست ممن يشاركني في رأيي القائل بفساد هذه المجتمعات كافة وكثرة شرورها.

كأني بك وأنت تبحث عن منشاء هذه الشرور وتلك البلايا فلا تجد غير استئثار أناس واستبدادهم وسقوط آخرين واضمحلالهم، أو بعبارة أخرى انتصار القوة على الحق.

هب أن رجلاً خير بين أن يقتل أو تحرق مدينته التي يسكنها قومه فماذا يختار إذا كان ممن تتغلب عليهم عواطفهم؟

بل لم نذهب هذا المذهب ونحن نعلم أن الفئة المذكورة هي دائماً في مقدمة المتهوسين أو الخائنين في كل أمة إذ أنهم يميلون حيث تميل الأهواء.

ولئن كنت تدعي أن الأمم تحيا بالعواطف وكنت أنا نصير العقل الذي هو والعواطف على طرفي نقيض فبر بك قل لي من أي فرقة هم السراق وأصحاب الرشوة والأغرار.

* * *

القوانين ثمرة عقول البشر ونتيجة أفكارهم وهي في كل أمة تمثل درجة رقيها وتقدمها. وليس لمسنيها غرض شخصي أو مأرب نفسي، لأنها وضعت لتكون دستوراً عاماً ليس له أدنى علاقة بالمسائل الشخصية.

انى لم أستند فى رسالتى السالفة الذكر الى بعض آراء (كستاف) الا لأنها آراء قويمة فى اعتقادى . ولئن غلط الرجل أو كفر فعليه كفره .

وهل استنادى الى بعض تعاليمه دليل على انى آخذ بجميعها؟

وهل يجوز لنا أن لا نستفيد من آراء (كستاف) وأمثاله من رجال الاجتماع لأنهم أخطأوا فى بعضها ؟

اذا كان ذلك ، فلنبصق بوجه (شكسبير)، ولنلطم (دانتى) ولنرفس (فولتير)، بل ولنترك كل صلة لنا مع العالم !! !

ان عواطفك — يا أخى — تغلبت عليك فحكمت حكما ناقصاً كما تغلبت على (كستاف) فأنسته حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم

اما انا فليست مع (كستاف) فى آرائه ، ولا معك فى حكمك لانى اعتقد ان الاعتدال روح الاجتماع .

ان لم يعرف (كستاف) حقيقة محمد فذلك لانه رجل مسيحى، وان محمداً اتى بديانة تخالف ديانته (فى اعتقاده) فأعماه تعصبه الناشىء عن استسلام لعواطفه عن معرفة الصواب ولكنه لم يتعصب للمسائل الاجتماعية الأخرى ، إذ ليس هناك محمد !

*
* *

19

انك تغالطني ايها الأخ فبينما اسألك عن الأمة الموهومة التى وجدت سعادتها وحظت بضالتها المنشودة باستمساكها بالرذائل (كما قلت انت) اذا بك تحاول ان تذكر لى شيئاً عن التاريخ الاستعمارى ومعاملة الاستعماريين لسكان البلاد المستعمرة.

انا لا اسألك عن ذلك لانى اعلم ان الحرب خدعة ، ولا صلة لنا بين السياسة او المداهنة والصدق مثلا .

ولئن سادت الرذائل بين سكان المستعمرات وكانت الدول هى العاملة على ذلك لأنه يكفل لها مصالحها فهل استفاد أولئك المساكين أعنى بهم سكان تلك البلاد ؟

* * *

اسمح لى أيها الأخ أن أقول لك أن الحسين رضى الله عنه ، كان شجاعاً لدرجة كانت فيها شجاعته سبباً فى قتله . فلو أنه استعمل رأيه وقبل ما أشار عليه أصحابه قبل سفره لما قتل . إذ لابد من الشجاعة والرأى

الرأى قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهى المحل الثانى

* * *

لئن كان بعض الناس يحترمون الأغنياء ، ويسجدون لهم ، فهم أولئك السفلة الادنياء أصحاب مآرب المنحطة الذين

لا تزل عقولهم بخواتم ربها ، بل والذين تغلبت عليهم عواطفهم !!!

* * *

أخى لا تحاول أن تغالطنى مرة ثانية ، لأن للامة الروسية (وفى ضمنها البولشفية) نظاماً سديداً تسير عليه فى امورها ، وقوانين ترعاها فى محاكمها ، وليست هى بدون نظام ، بل ليس أمة بلا قانون ؟

ع . ب

20

الرسالة السابعة

بوجه شكسبير!

٦ جمادى الاولى ١٣٤٠

امى عوفى!

أشكرك على قولك عنى بأننى حر في آرائى كما انى اشكر الصدف التى ساقتنى الى موقف وقفت فيه أمام شخص كبير مثلك وأرجو أن لا نتفارق ونتوادع الا وكل منا أرضى الآخر

* * *

اسمح لى أن أقل لك بأني رجل لا أعتقد بأمثال تلك الترهات أو القوانين التي سردتها، ولا أعتد بتلك الخرافات أو القواعد التى أتيت بها، نقلا عن علماء النفس من التفاصيل المتعلقة بالعقل والارادة والوجدان، وغير ذلك من المواهب.

ولئن سئلتنى عن الصنف الذى أدخل فيه بين المفكرين أو رجال الحزب أو الاطفال والنساء، فلا أجيبك على ذلك إلا بأبتسامة لطيفة فسرها كيفما تشاء

أوهب انك أصررت فى طلب الجواب ولم تكتف منى بذلك ، فيمكنني أن أقول :

أنا يأيها الصديق لست من أولئك الناس الذين عددتهم ، ولكنى فرد مزقت عنى ثياب الانسانية الكاذبة الموهومة ، فرجعت كما خلقت بشراً طبيعياً لا يركن الا الى الحقائق الملموسة التي يأخذها عن الطبيعة فقط ، لا عن كذبة رجال العلم ، ولا خونة أبطال الدين ، ولا عن غيرهم من الناس أجمعين .

وانى مع هذا لا أدرى هل ستدعونى بعرفك من أولئك الخائنين ؟ أو المتهوسين؟

* * *

سئلتنى :

من أى فرقة هم السراق والاغرار وغيرهم ؟

فحق لى أن أجيب بأعلى صوتى :

كل الناس سراق !

كل الناس أغرار !

كل الناس أشرار !

كل الناس طغات !

كل الناس ظالمون !

إلا افراد قلائل ضائعون :

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

* * *

قلت :

القوانين ثمرة عقول البشر ونتيجة افكارهم .

وانا أقول :

البشر سافلون ، وما ثمرة عقولهم الناقصة ، ونتيجة افكارهم الطائشة الا وهي أدهى منهم وأمر .

وهل يثمر عن الشجرة الخبيثة ، الا الثمر الخبيث ؟

* * *

قلت متهكما :

أن لا يجوز لنا أن نستفيد من (كستاف) فلنبصق بوجه (شكسبير) ولنلطم (دانتي) ولنرفس (فولتير) بل ولنترك كل صلة لنا مع العالم .

وأنا أقول :

نعم . لنلعن (كستاف) ولنبصق بوجه (شكسبير) ولنلطم (دانتى) ولنرفس (فولتير) أعداء الانسانية الحقة وكهنة مدرسة الاستعمار الكبرى .

أجل ، أجل ، ثم لنترك ان استطعنا كل صلة لنا مع العالم مع هذا العالم الدنس .

* * *

تكلمت عن الحسين الشهيد ، وعن الاستعمار ، وعن السفلة الأدنياء وعن البلشفية أيضاً .

أما أنا فأقول :

لنسد باب الكلام فى الاستعمار كيلا ندخل فى السياسات ولنقطع البحث الذى يدور حول الحسين الشهيد ، لئلا نتعرض بالديانات ، ولنسكت عن السفلة الأدنياء ، حتى لا يلعننا الناس ، ولندع البلشفية أيضاً فنحن لم نعرف حقيقتها بعد .

أما الدول الأخرى فما النظامات والقوانين التى لديها الا وهى كسد فى الطريق يقفز من فوقه الأقوياء ، ويقف دونه الضعفاء . فكل ما هناك باطل والسلام .

س . م

الرسالة الثامنة

أمنيتي

٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠

أخي محمود :

ان أهم ما تصبو اليه نفسي ويرتاح له ضميري ، هو أن لا ننتهي من مناضرتنا في مراسلتنا هذه الا وكل منا يصافح صاحبه دلالة على العلامة الودية التي كانت وستكون الى الأبد بيننا ، واشارة الى العزم الأكيد الذي وطدنا له النفس للتنكيل بمساعي بعض السفلة من كتابنا (اذا صح تسميتهم بهذا الاسم) وذاك كل ما أتمناه .

* * *

لا أظنني مخالفاً لما تعتقده اذا قلت ان الحياة سر من أسرار الطبيعة وان الانسان محاط بالغازها ونواميسها التي لا يزال بعضها اذا لم نقل كلها — مجهول لديه . ولئن عرفنا هذا وجب علينا أن نبذل جهد طاقتنا للاستفادة من تجارب الذين سبقونا من أبناء

الانسانية خاصة علمـاء النفس الذين قضوا العمر فى البحث عن أحوال النفس وأسرارها فجاءوا بعلم إذاً لا يمكننا أن نقول عنه انه هو الصواب ، فهو أقرب الى الحقيقة من غيره . لانه مبنى على المشاهدة والحس ، لا على الخيالات والأوهام .

ولست بمغال اذا قلت ان الاستغناء عن ذلك يزيد الانسان شقاء وتعاسة في الحياة ، اذ تكثر أغلاطه وعثراته فى كل خطوة يتقدمها فى حياته العملية .

وغني عن البيان أن العمر الانسانى أقصر من أن يجعل للانسان راحة فى مثل هذه الحال .

ولا أدرى بعد هذا ما الذى يمنعك من الاعتقاد معى فى أن الانسان فى حاجة الى الاستفادة من تجارب أبناء جنسه الذين سبقوه . وأنت تدعى بأنك لا ترضي بأمر ما لم يكن مبنياً على الحس لا على الوهم والخيال . ولعلك تظن انى أقصد بقولى هذا أن يستسلم الانسان لكل ماقاله وما استحسنه غيره بدون تروٍ وتفكر . كلا ان هذا ليس من مقصدى ما دمت أعلم أن لكل منا عقلا يميز به الطيب من الخبيث .

* * *

كنت أرجو أن لا يصل بك الخيال لدرجة تظن معها بأنى سأدعوك متهوساً أو خائناً فأنت فى نظري معظم فى كل وقت .

لا لأنك صديق وان لى صلة بك، بل لأنك رجل تحترم مبادىء غيرك احترامك لمبادئك ولأنك بعيد عن تهور أو انقياد أعمى.

ولو لم تكن فيك سوى هذه الخصلة لكفى أن أدعوك عظيما بكل مافى العظمة من المعنى. لأنه ليس بين الفريق الأعظم من كتابنا العقلاء ذوى المقدرة والكفاءة — كما يدعوهم بعض الاغرار الذين لايزال الحجاب بينهم وبين الحقيقة كثيفا — من يخلو من أغراض نفسية منحطة ومآرب شخصية سافلة. تدلك على ذلك كتاباتهم التى لاتزال تزعجنا من حين لآخر. أو ليس العظيم من يعظم غيره إذا كان يستحق التعظيم.

أخى.

لعلك تريد بقولك (كل الناس سراق . . .) أن الرذائل هى السائدة اليوم بين أفراد المجتمع وان الفضائل لم يبق منها الا الاسم ومن يتمسك بها فهو ضائع فى هذه الحياة الدنيا

نعم أنا أوافقك فى قولك هذا مادمنا فى مثل هذا المجتمع الفاسد، الا أنى لست ممن يسيئون الظن في المستقبل. فمن اعتقادي أنه من الممكن القضاء على كل الشرور وتخليص المجتمع منها مادامت هى والسنن الطبيعية على طرفى نقيض. فأن كان وجودها اليوم عرضى لخلل طرأ على المجتمع فقد يمكن ازالتها بتحسن طرق التربية على مرور الايام.

بقيت علينا هنا مسألة واحدة ان وافقتني فيها فقد اتفقنا في آرائنا فاني اعتقد أن الانسان مدني بطبيعته أي راغب في عمل الخير لذا يمكن تخليصه من هذه الشرور بالسعي المتواصل اذ أنه لم يكن مجبولا على الشر

جاء في بعض الامثال (على قدر البساط مددت رجلي) وفي هذا حكمة وعبرة لمن اعتبر. فان كانت قوانين البشر — كما قلت أنت — سافلة لانهم سافلون. فلا يحق لنا التحامل عليها لأن الواجب يقضي بأن لا تكون القوانين فوق ادراك مسنيها أو طاقتهم. غير أنه يحق لنا الاعتراض عليها وعلى بعضها متى ما علمنا ان مسنيها لم يكونوا لائقين لمثل هذا الامر الخطير.

* * *

قبل الحرب العامة بزمن يسير نشر اللورد كرومر كتابه المشهور الذي طعن فيه على الدين الاسلامي ظناً منه انه توصل الى حقيقة جديدة فأظهر للملأ مساوىء الدين الاسلامي واضراره فقامت على أثر ذلك حرب أدبية شعواء في مصر دامت مدة لا يستهان بها ولم يكن في الامكان توقيف تلك المجادلات الدينية الطويلة العريضة لولم يتداخل في الامر بعض العقلاء من كبار العرب (سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين) اخص منهم بالذكر الدكتور الطيب الذكر شبلي شميل. فأظهروا خطأ كل من

المتجادلين وخروجهم عن الطريق السوي في مناظرتهم لتشيعهم وتحزبهم لما هم عليه من الاعتقاد . فاللورد كرومر حكم على سوء نظام الدين الاسلامى وعدم صلاحه للمجتمع بمجرد نظره الى انحطاط الامم الاسلامية فى هذا العصر . وهو حكم باطل يشهد ببطلانه كل من له وقوف على الدين الاسلامى وتاريخ الامم الاسلامية منذ تمسكها باهدابه حتى الآن . . . وكذلك كان معظم كتاب المسلمين فى ردودهم على خطأ لانهم حاولوا أن ينكروا انحطاط الامم الاسلامية فى هـذا العصر ظناً منهم ان اعترافهم بتلك الحقيقة يضر بدينهم ولم يعلموا أن السبب الوحيد فى هذا الانحطاط هم أصحاب الحل والعقد من المسلمين لا الدين نفسه .

هذا استطراد عرضى أحببت أن اورده الآن لاذكرك بمنشأ أغلاط كستاف وشكسبير المشابهة كل التشابه لاغلاط كرومر وأحكامه الناقصة التى ينقض بعضها بعضاً . وكل من الذين مرّ ذكرهم رجال لا يستغنى عن آرائهم فى السياسة والاجتماع وغير ذلك .

الا أنهم ذكروا ما ذكروه عن الاسلام وهم مدفوعين بعوامل مختلفـة كالتعصب الأعمى لمعتقداتهم أو كمجاراتهم لمعاصريهم من أبناء أمتهم أو خوفهم من الاضطهاد والقتل كما هى الحال في مسألة (دانتى) فانه لما أظهر آرائه الحقيقية بصاحب

الشريعة محمد (ص) تألب عليه قومه وأجمعوا على حرقه بالنار ان لم يرجع عن آرائه فلم يكن فى وسعه مخالفتهم .

وعلى كل فان خفيت هذه الحقيقة (حقيقة الاسلام) الآن عن أنظار العالم فلا بد من أنها ستظهر بمظهرها الحقيق ولو بعد حين، من غير أن تكلفنا قطع علائقنا مع العالم المسيحى .

* * *

أما ما ذكرت في آخر رسالتك فى عرض كلامك عن القوانين فما ذاك الا دليل على عدم رضائك بهذه الحال ، وهو ما أتفق به معك بيد أنى لست متشائماً فجل اعتقادى أن الانسانية ستتقدم تقدما باهراً وان تعاليمها الصحيحة ستنتشر بين سكان البسيطة ولو كلف ذلك مئات بل الوفا من السنين والاعوام ، لازالة المعتقدات الباطلة من الاذهان .

ع . ب

الرسالة التاسعة

اعتقادى

٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠

امى عوفى

كأنى بك وقد وصلت بكتابتك الى حد يمكننا التفاهم به بوضوح وجلاء ودرجة نستطيع بها من انهاء الكلام .

وهانذا أبسط لك آخر ما عندى من المعتقدات مع التقرب إلى حد التفاهم شيئاً فشيئاً ، ولكن على طريقتى التى اتبعتها من ذي قبل .

أخى . من اعتقادى أن أعيش فى وحدة واستقلال تام ، لانى أنا فى الناس وغريب عن الناس . وان اجتهدت ما استطعت لاظهار الحقيقة التى هى الشعار الوحيد لكل من البشر مع أنه يسترها ويخفيها الا وهى :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه
وليس عليه أن يساعده الدهر

لهذا وذاك أقر بأول كلمة من كلامك فى الرسالة الماضية أعنى ما قلت (الأستفادة من التجارب) فليستفد غيرى من تلك التجارب القديمة ، تجارب البشر السابقين ، أما أنا فلا .

هذا مع احترامى لذلك .

وكذا (القوانين) فأنا أقر أيضاً بنفاستها وجودتها ، ولكن للذين هم يرضون منها ويستحسنونها . أما أنا فلا .

هذا مع احترامى لذلك .

وهكذا (الفضائل) فأنا أقبل ما قلت بانها ستسود على المجتمعات فى المستقبل . وان كلف ذلك ألوفاً من السنين . فليطمئن بذلك غيرى من الذين ينظرون لألف سنة فى غياهب المستقبل ، وهم عما قريب الى القبر صائرون ، اما انا فلا .

هذا مع احترامى لذلك .

وهكذا (آراء علماء الافرنج وتعاليمهم) فانا أرضى لغيرى ان يتخذها او يتخذ الذى يعتقده صالحاً منها حجة له أو ناموساً يسير عليه فى الحياة الاجتماعية ، اما انا فلا .

هذا مع احترامى لذلك .

وهكذا (التقرب الى العالم) ، فليتقرب اليه وليتحد معه

غيرى ، ذلك الاتحاد الكاذب الموهوم الذى لو سلمنا بالمستحيلات لكان وحده هو المستحيل فى الدنيا ، اما انا فلا .

هذا مع احترامى لذلك .

أما ما ذكرت من انك لست متشائماً وتعتقد بتقدم الانسانية فى المستقبل ، فذاك أمر غامض سيكشفه الزمان . والزمان مجهول .

س . م

الرسالة العاشرة

الكلمة الاخيرة

٤ جمادى الاخيرة ١٣٤٠

امى محمود .

منذ صرفت أعنة الفكر وقلبت وجوه الامر فى مراسلتنا ، كنت قد عولت على أن لا انتهى من كلامى الا وقد توصل كل منا الى نتيجة يحسن السكوت معها ، كما أشرت إليك فى رسالتى الماضية . ويقرب من ظنى اننا توصلنا الى النتيجة نفسها لذلك فأنى دعوت كلمتى هذه (الكلمة الأخيرة) .

تلوت رسالتك الماضية ثلاث مرات ، وفى كل مرة ذهبت فى تفسيرها مذاهب شتى ، حتى أشتبه على الأمر ، ولم أعلم كيف أجيب عنها ولست أدرى هل كان ذلك ناشئاً عن تعابيرك المشككة التى يمكن تفسيرها بمعان متباينة وصور متعددة ، أم عن عدم تمكن من ضبط مخيلتى التى تاهت بى (حين قرأت الرسالة) فى كل واد ؟

وعلى كل فأنى أشكرك على كلمتك الأخيرة التى دلت على احترامك مبادىء غيرك ممن يخالفونك فى معتقداتك .

* * *

القوانين ثمرة عقول البشر .

الانسانية فى تقدم نحو الكمال .

الانسان مجبول على الخير بطبيعته .

كل تلك الامور يعتقد بها جماعة من كبار المفكرين فى هذا العالم ، يتبعهم فريق عظيم من الناس ، وهم لا يزالون يعملون كلما فى جهدهم ويتفادون بأنفسهم فى سبيل تحقيق أمانيهم ، وهم يحمدون على ذلك سواء أصابوا أم أخطأوا . لأنهم لا يقصدون بعملهم الا الخير ، ولا يضمرون الا السعادة والهناء لابناء الانسانية كافة .

أجل . هذا ما أعتقده أنا وكل حزب بماليهم فرحون — وما أعظمك لاحترامك إياه .

كل ما فى هذه الحياة سر من أسرار الطبيعة وكل ما فيها متحرك غير ثابت . ولعل التفكر في ذلك يوقع الانسان فى حيرة وارتباك كما هو معلوم .

وانى لا أكاد أجزم في ان آراء الانسان وافكاره معروضة للتغير فى كل طور ، بل وفى كل دقيقة ن دقائق الحياة .

ذاك ما نعتقده ، وتلك هى آراؤنا فى الحياة . وكلانا قد ناقش صاحبه فعلى من يطلع على هـذه الرسائل فى المستقبل ، ان يحكم لمن شاء على من يشاء ، والسلام .

ع . ب

بعد الرسائل

فكرة الانتحار

لم يكن ظني بصديق (س . م) ان أرى فيه رجلا حانقاً على نفسه وعلى المجتمع لذلك فقد كان استغرابي عظيماً يوم كانت تردني رسائله، حتى ذهب بي الوهم الى أن هناك يداً خفية كاتبتني وحاججتني بأسم صديق المذكور. ذلك لاني عهدته يوم مفارقتي إياه شاباً مسروراً بحالته راضياً عن مجتمعه.

انتهت رسائلنا وما هي إلا أيام معدودة حتى جمعتني الصدفة وإياه في مجمع حافل، كنت اترقب الفرص فيه لاخلو به. فما انفض المجمع حتى استأذنت رفاقي...

تقابلت مع صديق لاول مرة بعد مفارقتنا زمناً، وما هي الا برهة حتى زالت كل ظنوني وصرت أعتقد ان قد تغير كل شيء فيه، وان ما وردني من الرسائل لم يكن مصطنعاً أو مزوراً.

مرت علينا أيام تلاقينا فيها للمرة الثانية والثالثة فالرابعة. وفي كل مرة كنت أراه فيها حزيناً متألماً.

وفى مرة بينما كنت أحاول تسكين خواطره إذ ناولنى ورقة وهو يقول .

« هذه — هى يا أخى — آخر آمالى فى الحياة » .

فما كدت أنظر اليها حتى هزنى التأثر هزاً عنيفاً . حيث رأيت كلمة الانتحار تتخلل كل سطر من سطورها . وقبل أن أكمل قراءتها اختلط بنا بعض الاصدقاء ، فحال ذلك بينى وبين ما أروم . . .

ودعت صديقى . فجلست ليلتى وأمامى تلك الورقة ، وأنا متحير مضطرب تتقاذفنى أمواج الأفكار ، وتتلاعب بى زوابع الأوهام ، وما بين آونة وأخرى أنتفض كمن فوجئ بضربة هائلة فأسأل نفسى : لم يريد الانتحار ؟

اذا كان العوز والفاقة كما يقول البعض يصغران الحياة فى عينى صاحبها ويدفعانه الى القضاء على نفسه بنفسه ، فان صاحبى ليس من المعوزين ولا من المحتاجين .

إذن فلم يريد الانتحار ؟

لو كنا فى زمان غير زماننا هذا وفى حال غير حالنا الحاضرة لربما خطر لى أنه يريد الانتحار تخلصاً من عدو عنيد دعاه للمبارزة وهو يعتقد أن ليس فى استطاعته مبارزته ، وانه ان بارزه خاب

والصق الناس به عار الضعف والجبن ولكن هيهات يكون ذلك ونحن فى القرن العشرين .

للحب سلطة عظيمة على النفس وان المحب الذى لا يستطيع الحصول على بغيته كثيراً ما يلتجىء الى قتل نفسه . ولكن كل ما رأيته فى صديقى يدل على انه ليس من المحبين ولا من العاشقين .

إذن لم يريد الانتحار ؟

مرت كل هذه الامور وسواها امام مخيلتى كما يمر الشريط فى مسرح الصور المتحركة ، وفى كل مرة لا أهتدى الى جواب .

ثم شعرت كأنى وقعت على سر مكنون .

فقلت فى نفسى لقد صدق علماء الاجتماع حيث شبهوا المجتمع بجسم حى ، وشبهوا الاختلالات والجنايات التى تحصل فيه بامراض له .

أجل . الانتحار مرض من أمراض الاجتماع وعلة من علله التى لم يهتم لاعلماء الحقوق ، ولا رجال القانون حتى الآن بايجاد دواء له .

هم يقولون : « المنتحر مجنون ، فاقد الشعور ، ضعيف العقل » اخطأوا ، ليس المنتحر بمجنون لانه حين قدومه على الانتحار لا يقوم الا بأعمال اختيارية ، فهو عاقل مفكر حساس .

نحن لا ننكر عليهم أن الانسان مطر على حب الذات ،

ولكنا نخالفهم إذا قالوا أن المنتحر عدو لنفسه غير محب لذاته. ذلك لأننا لانريد ان ننظر إلى المسألة نظراً بسيطاً. ولئن كنا نعتقد ان للبيئة تأثيراً على الانسان فاننا لانتأخر عن المجاهرة بأعلى صوتنا قائلين:

أنتم معشر الحقوقيين، ورجال القانون، أنتم أنفسكم صرتم سبباً فى شقاء هؤلاء الشبان وانتحارهم.

هذه مبادئكم، وذاك هو النظام الاجتماعى الفاسد الذى اقتمتموه عليها، وتلك هى نتائجه المضرة.

الانتحار. القتل. السرقة. النهب. فساد الاخلاق. كل من هذه مظهر من مظاهر تعاليمكم المشوشة ومبادئكم المتناقضة فمتى تقتنعون بسقامتها؟

مالكم تتمادون فى خيالكم، وتتناهون فى الضلال؟

ما هذا الغلو فى حياتكم النظرية والتقصير فى أعمالكم الحيوية؟

أفلا تعترفون بتطور العقل الأنسانى وتقدمه؟ إذن فلم لا تتطور قوانينكم وتصلح مبادئكم رفقاً بالحال ورحمة بالعباد؟

صوت ضعيف أضمه إلى أصوات المصلحين، لعل الله يصلح الحال ويرجع اليكم الرشد.

* * *

منذ كتبت يدى هذه الكلمات اخذت أسعى مع رفاقي فى تلطيف خواطر صاحبي (السيد محمود احمد) حتى أظننى قد أصبحت من النجاح على قاب قوسين أو أدنى.

عونى بكر صدق

﴿ تمت ﴾

فهرس

كتاب السهام المتقابلة

صحيفة

٢ اهداء الكتاب

٣ مقدمة : بمناسبة الطبع والتأليف

١٢ تعريف الكتاب

١٦ الرسالة الاولى : الخطبة

٢٠ الرسالة الثانية : المجتمع والكتاب

٢٣ الرسالة الثالثة : النظام الكوني

٢٦ الرسالة الرابعة : المجتمع والعواطف

٢٩ الرسالة الخامسة : العواطف شيء مقدس

٣٣ الرسالة السادسة : العواطف منبع الشرور

صحيفة

٣٩ الرسالة السابعة : بوجه شكسبير
٤٣ الرسالة الثامنة : أمنيتى
٤٩ الرسالة التاسعة : اعتقادي
٥٢ الرسالة العاشرة : الكلمة الاخيرة
٥٥ بعد الرسائل : فكرة الانتحار

تم

سيظهر قريبا

مذكرات شاب عراقي

بقلم

السيد محمود احمد البغدادي

مؤلف روايتي : فى سبيل الزواج ، ومصير الضعفاء
وكتاب : النكبات

ويظهر قريبا أيضا 32

تاريخ الاستعمار الاوربى

بقلم

عونى بكر صدقى

مؤلف كتاب : الكشاف العراقي

33

بشرى

صدرت قائمة المكتبة العربية لسنة ١٣٤١ هجرية وهى حافلة باسماء وأثمان ما اشتملت عليه من الكتب العلمية والدينية والتاريخية والفنية ، وكذا الروايات والقصص وغير ذلك مما تطمح اليه نفوس العلماء والادباء والطلاب

وهي تبعث بها لكل طالب

مجاناً بغير مقابل

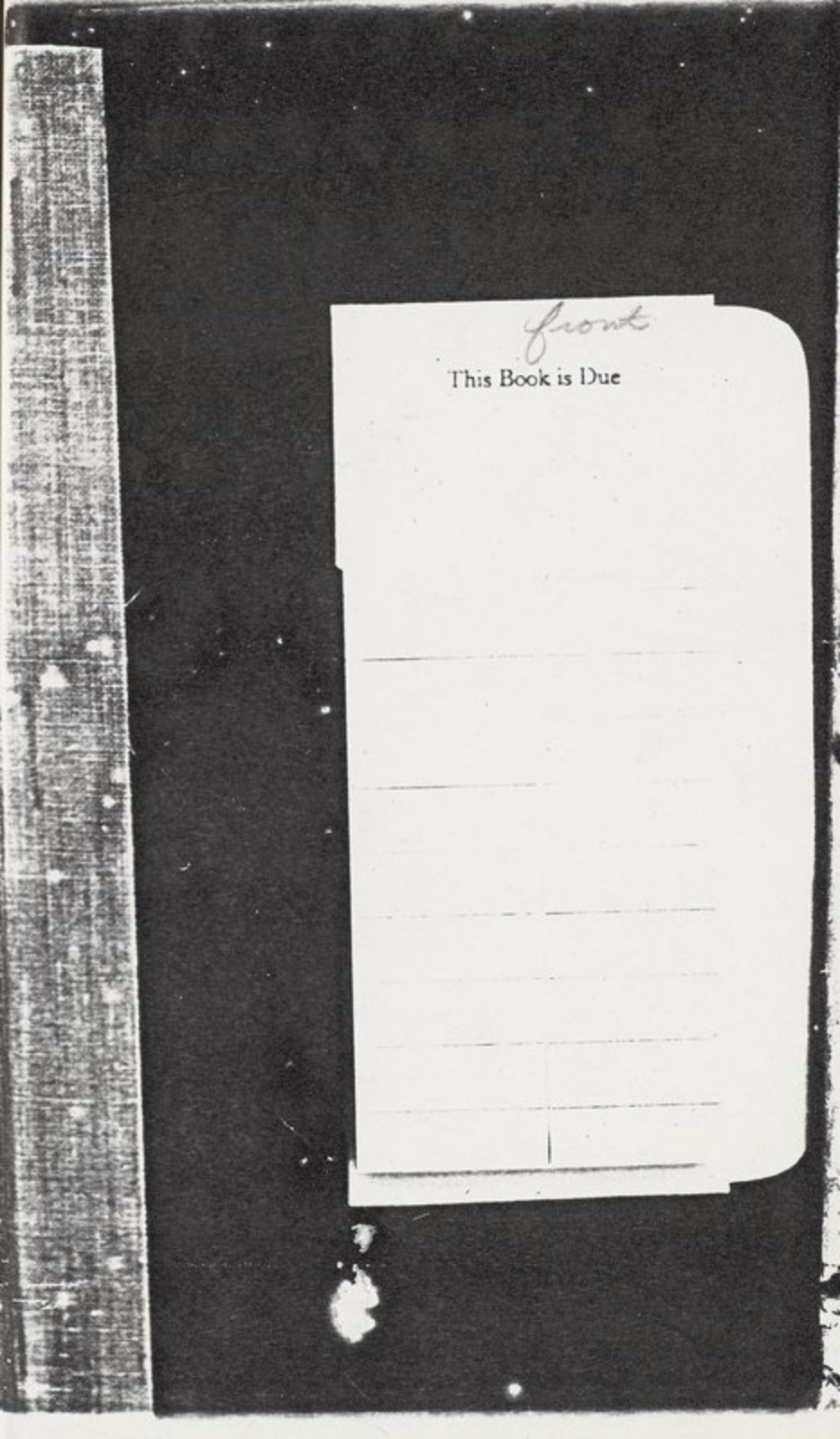
front
This Book is Due

Restored through a grant from

The Cartwright Foundation

Princeton University Library
32101 082175074